الى المال وتوجها الى روتشيلد الذي تأمل في الامر مليا قبل ان يقرر في الاخير قرض انكلترا . اصبحت نقوده من الاسباب التي كفلت لها النصر . كان من المفروض في أي عصر غير العصر الليبرالي الحديث ان يبعث الامير بعساكره الى المرابين اليهود في مقاطعته ليأتوه منهم بما يريد . أصبح احترام القانون في العصر الليبرالي أعظم نصر حققه اليهود في تاريخهم . من الان وصاعدا أصبح على الراغب في مالهم ان يخطب ودهم . وجاءت نقطة التحول الجديدة في ثورة ١٨٣٠ عندما انتزع لويس فيليب الحكم بمساعدة الجنرال لافييت الذي صرح علنا «من الان وصاعدا سيكون الحكم بيد الصيارفة».

من الان وصاعدا اصبح على ساسة اوروبا ان يأخذوا بنظـــر الاعتبار رأي واهواء روتشيلد وزملائهم . العصر الحديث هو عصر رأس المال الذي يقاس كل شيء فيه بالارصدة والنسب المئوية. وأصبح من الطبيعي لاغنيـاء اليهود ان يمسكوا بزمام امور مثل هذا العالم . ولعل من اولى الوثائق الدبلوماسية التي أشارت الى نفـوذ اليهود في الميدان الدولي وكشفت عن التفات ساسة الغرب الى هذا النفوذ ما كتبه اللورد بالمرستون الى السفير البريطاني في الاستانة ملوحا الـى مصلحة السلطان في كسب ود اليهود كأصدقـاء متنفذين . واصبحت التفاتة بالمرستون الفكرة التي راودت ذهن معظم السـاسة المقبلين على انتخابات او حروب دامية .

ومن الناحية الاخرى ادى الحصـول علـى الحريات المدنية الى انهمار شباب اليهود على كل مهنة مرموقة فتضخمت نقابات المحاماة والطبابة والفنون والعلوم بنسب عالية منهم . وبعد قرون من الحرمان والكبت ، بز اليهود زملاءهم الاغيار ولمعت اسماؤهم في معظم الميادين من الفيزياء الى الموسيقى والادب .

لاح لهم عندئذ ان ما قاله اجدادهم عن الشعب المختار وصفاته الفريدة شيء حقيقي . لقد ازال العصر الرأسمالي الليبرالي تلك الهوة بين الواقع والخيال التي أشرنا اليها . وما كان لهم بهـذه النعمة الجديدة الا ان يتصرفوا كأي حديث نعمة ، فملأوا الاوساط الراقية من المجتمع الغربي بشتى المظاهر البراقة الفجة ، وراحوا يدخلون ما كان محرما عليهم ارتياده من قبل فيملأون المكان ضجيجا ناهين وآمرين . اضخم انواع السكار ، المـع المجوهرات ، اثقل الاساور ، اطـول الفـراء وهلمجرا . من القصص التي رواهـا لويد جورج ان ساسون اهداه مرة باقة من اوراد حديقته . وفعل ذلك بأن جاء الى بيت لويد جورج بالورد وبالبستاني الذي زرعه وقدمه الى رئيس الوزراء. وقد أعرب حتى هرتزل نفسه عن تقززه من مناظرهم في يومياته ، ولكنه هو شخصيا كان ضحية لهـا فقد كان اعداد ملابسه عملية عسكرية كاملة . وراحوا يصرون على حقوقهم المدنية حيث لزمتهم وحيث لم تلزمهم . ويكيلون الويل للمسؤولين عند أي اخلال بها . وما زلنا نتلقى صورا من هذا السلوك في مقاضاة نوادي التنس والكولف الانكليزية التي لم تسمح لليهود بعضويتها ، في احتجاج عمال البريد اليهود في نيويورك على وضع شجرة عيد ميلاد في الدائرة لم تضع الشمعدان اليهودي في اعياد اليهود .

وقد أثار السلوك المتغطرس سخط العاطفين على اليهود والمعادين لهم على السواء . وبينما حذرهم اصدقاؤهم من مغبة ذلك راح اعداؤهم يهدرون كراماتهم قصدا لتأديبهم ، كما كانوا يقولون . وتألفت في المانيا والنمسا « جمعيـة مكافحـة الغطرسة اليهودية » لهذا الغرض . ودأب الطلبة في الاوساط الجامعية على كسر هيبة التلميـذ اليهودي المتغطرس باهانته ثم دعوته الى المبارزة. ولما كان استعمال السلاح ما زال فنا بعيدا عـن الحياة اليهودية ، فقد أهدرت كرامات وكرامات . وأمام هذه المذلة الجديدة ، نشط القوميون اليهود بالدعوة الى تعلم المبارزة.وكان المسعى اول خطوة تخطوها الحركة الصهيونية نحو عسكريتها الحالية. وقد خر كثير من الشبان اليهود ضحايا المبارزات نتيجة حداثة عهدهم بالسيف والغدارة في مواقف درامائية اثارت شجون الكثير .

ولكن جمعية مكافحة الغطرسة اليهودية نهت أعضاءها من منازلة اليهود ، لان المبارزة عمل من اعمال الشرف ولما كان اليهودي لا شرف له فليس مما يشرف الالماني منازلته .

بيد أن النزال بين اليهود واعدائهم في اوروبا الوسطى استمر على النطاق الاوسع الى أن وصل نتيجته الاخيرة في نهاية الحرب العالميـة الثانية . لم تكـن نتيجـة هذه الحرب ابـــادة بضعة ملايين من اليهود وانما ابادة اعداء الساميـة